المحاضرة الثانية

المخطوطات

تعتبر المخطوطات خزائن التاريخ، إذ تحتفظ في صفحاتها على تراث الشعوب وعاداتهم، ونشاطاتهم، وثقافاتهم، فهي وسيلة الربط بين الماضي والحاضر، للكشف عن كثير من الحقائق التاريخية أو تصحيحها وتوضيحها. فالمخطوطات هي المادة الخام التي يولع بها المؤرخون ليستنطقوا كل حرف فيها بما يكشف الأسرار ويجيب عن الأسئلة ويفك الألغاز، وتعتبر حتى الآن مصدر إلهام للكثير من المؤرخين في العالم.

1–مفهوم المخطوط: من الفعل خط، وهو المكتوب باليد، وجمعه مخطوطات: بمعنى تأليف مكتوب باليد. ولفظة مخطوطة كذلك: من الفعل خط، وهي بصيغة المؤنث، وجمعها مخطوطات: بمعنى تأليف مكتوب باليد.

ويعرفها ابن منظور أنها: "خط القلم الذي يكتب به، وخط الشيء يخطه، أي كتبه بالقلم أو بغيره ."

–إصطلاحاً: هو كل ما كُتب بخط اليد سواء أكان رسالة أم وثيقة أو عهدا، أو كتابا، أو نقشا على حجر أو رسما على قماش وسواء أكان بلغة عربية أم غير عربية. وهو أيضا المكتوب باليد في أي نوع من أنواع الأدب، سواء كان على ورق أو أي مادة أخرى مهما كان شكلها، كالجلود والألواح الطبيعية القديمة والحجارة وغيرها. خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة.

2 ـ أنواع المخطوطات:

يقسم الباحثون المخطوطات إلى عدة أقسام، فمنهم من قسمها حسب الزمن ومنهم من قسمها حسب النسخ ومنهم من قسمها حسب الموضوع والتخصص، وأهمها:

أ– المخطوطات الأصلية (الأم): هي التي كتبها المؤلف بخط يده ويطلق عليها اسم النسخة الأم أو النسخة الأصل.

ب– المخطوطات المنسوخة (المنسوب): هي مجموع الكتب التي تم نسخها في دور النشر لتوفير نسخ مطابقة للنسخة الأم قصد تسهيل الاستفادة منها من قبل الدارسين والمهتمين. ويتم التفاعل معه بنفس الدرجة من الصحة ولا شك فيه.

ج– المخطوط المبهم: ويسمى أيضا المخطوط المقطوع أو المعيب لأنه لايرتفع بالنسبة إلى المخطوط الأم، وليس موثوق به. لما اكتنفه من عيب بارز على مستوى الشكل أو المضمون، أي صحته غير موثوق بها.

د– المخطوط المرحلي: ونقصد به هو المخطوط الذي يؤلف على عدّة مراحل، فيؤلف في أول مرحلة على شكل وتنشر بعد ذلك بين النّاس على شكل آخر تماما، ويمكن أن تكون هنا إضافات تزيد على ما في المرحلة السّابقة.

هـ–المخطوط المصور: الكثير من الدراسات المتعلقة بالفنون الإسلامية نجدها محفوظة في هذا النوع من المخطوطات، ودراسة هذا النوع من المخطوطات تتطلب دراية بأمور التصوير.

و– المخطوط المجموع أو المجاميع: توجد مخطوطات كثيرة منها ما تدخل ضمن إسم مجموع أو مجاميع، وتحتوي على عدد من المؤلفات الخطية أو الأجزاء أو الرسائل، في هذه الحالة يعتبر كل مؤلف أو رسالة أو جزء من المجموع مخطوطا قائما بذاته.

3–أهمية المخطوطات في كتابة تاريخ الجزائر:

لا يستطيع المؤرخ أن يكتسب من المخطوطات مختلف المعارف التي تهمه إلا بالقراءة الواسعة والموضوعية، باعتبارها من أهم المصادر والمراجع الأساسية التي يستند عليها في كتابة نصوصه التاريخية. فالمخطوط بالنسبة له وثيقة تمثل مستند علمي وتاريخي، تمدّه بالحقائق وتفتح له مجال النقد، وتؤكد له حقائق ثابتة، كونها تنفي أو تُوثق الحدث والواقعة، وتسد الثغرات الناقصة بإستكمال الحلقات المفقودة من مسائل السياسة، والاقتصاد والتجارة، وعادات الشعوب وتقاليدهم ونظم حكمهم.

كما أمكنت المخطوطات للمؤرخين، من تحديد الألقاب التي إتخذها السلاطين والولاة لأنفسهم، وتتبع مضامينها عبر العصور، ومدلولاتها اللغوية والسياسية والاجتماعية والمذهبية... وغيرها. وتحوي صفحات بعض المخطوطات في مضمونها أيضا على أسماء الوظائف والحرف السائدة خلال فترات تاريخية

مختلفة، وطبيعة البيئة الجغرافية السائدة في الأقاليم الشاسعة هذا فضلا الى التوقيعات والأختام التي تعود للنساخ أو المؤلفين أو الهيئات الرسمية.

وقد أولى المؤرخون أهمية خاصة لمسألة المخطوطات ومدى أهميتها في الكتابات التاريخية كما نبهوا إليها في مناسبات كثيرة في كتاباتهم، وبينوا وأشاروا إلى أهمية إعتماد المخطوطات كبعد أساسي ومهم لدراسة تاريخ الجزائر، ومن الشروط التي أشاروا إليها هي إعادة صياغة أحداث التاريخ الوطني، وذلك بالرجوع إلى هذه المخطوطات التي تحمل في طياتها تاريخ أمتنا وحضارتنا، ويعني ذلك أنه لابد من إعادة كتابة هذا التاريخ من وجهة النظر الوطنية الجزائرية، أي الرجوع الى تلك المخطوطات والتي قد تكون عايشت الحدث مكانا وزمانا كوثيقة وطنية في هذه العملية، وعلى أن يتحقق ذلك في عمل جماعي تتكاثف فيه جهود الباحثين الأكفاء ذوي القدرة على البحث والتنقيب والإستقصاء، وإستغلال المصادر، لأن الجهد الشخصي لا يكفي وحده ولا يعجل بملء الفجوة، وهذا ما وجدناه عند كل من المؤرخين يحي بوعزيز، وناصر الدين سعيدوني، الذين أكدا أن انشغال الجزائريين عبر التاريخ بصد العدو ودحر جيوشه، حال دون اعطاء أهمية لهذه المخطوطات وذلك منذ عصور قديمة.

فالكتابة الحقيقية والتاريخية عن تلك الحوادث لن تتم بشكل أقرب ما يكون الى الصحة إلا بعد اكتشاف على أكبر قدر ممكن من النصوص والمخطوطات، سواء كانت مخطوطات حديثة أو معاصرة، كانت لجزائريين أو لغيرهم ممن كانوا شهود على تلك الفترة وقاموا بالكتابة عن تلك الأحداث، وأن الأمر الذي يؤسف عليه هو أن الرّواية الجزائرية عن تلك الحوادث تكاد تكون منعدمة، ولسنا نشك في أن هناك كتابات جزائرية عن تلك الفترة ولكن الموجود منها قليل جدا، لا يسمح بالإجابة الشافية عن كثير من الأسئلة المطروحة عن تلك الفترة وما جرى فيها.

علما أنه لا يوجد شك في أن المخطوطات مثلت رصيدا معرفيا كبيرا عبر تاريخ البشرية، إذ يغدوا موازيا ومعادلا لتاريخ الكتابة عن الإنسان، وعلى قدر أهمية المخطوط في حفظ المعارف الإنسانية ونقلها الى الأجيال تأتي هنا الأهمية في جمع هذه المخطوطات وفهرستها وجردها، من أجل تسهيل تحقيقها واخراجها من غياهب النسيان ليستفاد منها في شتى المعارف الإنسانية، والسعي على الدوام من أجل جمع مخطوطاتنا عبر المكتبات والمخازن والمتاحف ايمانا بأهميتها وقيمتها التاريخية والفكرية والأدبية وبارتقاء البحث العلمي والمعارف الإنسانية، حيث ارتقت وسائل جرد المخطوطات وفهرستها واحصائها وأضحى الباحثون

في علم التحقيق، يستعينون بهذه الوسائل التي تذلل التحقيق، وتيسر سبله للباحثين والمشتغلين بهذا العلم الأصيل.

4-سياسة فرنسا اتجاه المخطوطات:

يعد عامل الاستعمار أقسى تجربة مرت على المخطوطات والتي ساهمت بشكل واضح في ضياع التراث الجزائري، حيث نجد أن الاحتلال الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر عام 1830 م، قد عمل جاهدًا على شن حملة كبيرة من أجل تخريب ذاكرة الأمة، إلا انه يدرك تمام الإدراك بان شعبا بلا تاريخ شعبًا لا وجود له، لذلك لم يوفر أي جهد لتحطيم أسوار الماضي، ومحو معالم شخصيتنا من خلال اللغة الفرنسية، محل اللغة العربية الإسلامية، طيلة فترة الاحتلال، للقضاء على كل المراكز الدينية والثقافية الموجودة في البلاد، بالإستيلاء على المساجد والزوايا في مختلف المناطق وصادر ما فيها من مداخيل أوقافها، وحولوها إلى الإدارة المالية الاستعمارية. وكانت المكتبات الملحقة بهذه المنشآت الدينية أيضا من ضحايا المصادرة فاختفت الكتب رغم أنها كانت حبوسا وتبادلتها الأيادي بلا حساب ولا عقاب.

وهكذا قام المحتل بتحريف آلاف المخطوطات والوثائق كما سرب آلاف أخرى إلى البلد الأم فرنسا، من أجل الاستمتاع بمحتوياتها، كما أحرق الآلاف من المخطوطات التي كانت تخص تاريخ الأمة العربية ومبادئها ومقوماتها من مخطوطات الفقه والحديث، وغيرها، كل هذه العمليات التي اقترفها الاحتلال الفرنسي في حق الشعب الجزائري كانت تهدف إلى إلحاقه بفرنسا لغة ودينًا، وسلوكًا، وبغرض قطع الصلة بين الفرد الجزائري وتراثه الخالد الذي يعكس التصاقه بالإسلام والعروبة.

-المصادر والمراجع المعتمدة:

- إياد خالد، الطباع، المخطوطات الدمشقية والمخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، دراسة ومعجم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.
- إياد خالد، الطباع، منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، لإبن وحشية النبطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2003م.

- أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997م. جان عبد الله توما، تحقيق المخطوطات العربية، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان 2010.
- جميل بلبل، محمد فؤاد، المخطوطات العربية فهرستها علمياً وعملياً، دار جرير، عمان، 2006.
- حسان حلاق : مناهج تحقيق الت ا رث و المخطوطات العربية ،دار النهضة العربية ، لبنان ، ط1.
- ديفيد، ب جريسي، الوثائق والأوراق التاريخية المخطوطة ترتيبها ووصفها، ترجمة: الدكتور عبد
- الرحمان وعبد الله شيخ، قسم الوثائق، مكتبة الملك فهد الوطنية، أستاذ مشارك في التاريخ، جامعة الملك سعود، 1990.
- عبد الستار، الحلوجي، المخطوط العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياس، 1978م.
- عبد الستار، الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997م.
- عبد العزيز، خليفة شعبان، المخطوط العربي، دراسة في نشأته وملامحه البيبليوغرافية، مجلة الفيصل، 1980.